عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

١ «انْظُرُوا إِلَى مَنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ،

٢ وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ؛

٣ فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ»(٢٢٥).

(٢٢٥) رواه مسلم (٢٩٦٣).

آيات

﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٧].

﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ﴾ [القصص: ٧٩، ٨٠].

﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف: ٣٢].

الراوي

هو: أبو هريرة، واسمه -على الأرجح-: عبدُ الرحمنِ بنُ صَخرٍ الدَّوسيُّ، الأزْدي، اليَماني، أسلَمَ عامَ خَيبرَ ٧هـ، ولازمَ النبيَّ ﷺ وحرَص على العلم وحفظ الحديث، فكان أكثر الصحابة رواية للأحاديث، توفِّي بالمدينة سنة (٥٨هـ)(١).

خلاصة

يأمرُ النبيُّ ﷺ أُمَّته أن ينظروا إلى مَن هو دونهم في النعمة وأقل منهم في أمور الدنيا، وألَّا ينظروا إلى مَن فضَّلهم الله عليهم في الرزق والصحة والنِّعَم؛ فإنَّ ذلك جديرٌ بأن لا يحتقروا نعمة الله عليهم.

(١) تُراجع ترجمته في: «معرفة الصحابة» لأبي نُعيم (٤/ ١٨٤٦)، «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» لابن عبد البر (٤/ ١٧٧٠)، «أُسد الغابة» لابن الأثير (٣/ ٣٥٧)، «الإصابة في تمييز الصحابة» لابن حجر العسقلانيِّ (٤/ ٢٦٧).

١ يحضُّ النبيُّ ﷺ أصحابَه وسائر أمتِه من بعده على أن ينظروا إلى مَن هم أسفل منهم، وأقل منهم في أمور الدنيا، من الفقراء والمحتاجين والضعفاء والمرضى وذَوي الاحتياجات ونحوهم، ويَرَوا كيف فضَّلهم الله تعالى على غيرهم، فإذا نظر المسلم إلى حال غيره، فإن عليه أن ينظُر إلى من هو أسفل منه؛ قال ﷺ: «إذا نَظَرَ أَحَدُكُم إلى مَن فُضِّلَ علَيْهِ في المالِ والخَلْقِ، فلْيَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْه»(٢٢٦).

٢ نهى النبيُّ ﷺ المسلم عن نَظَرِ إلى مَن هو أغنى منه مالاً وأقوى وأصحُّ أجسادًا، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه: ١٣١].

(٢٢٦) رواه البخاريُّ (٦٤٩٠)، ومسلم (٢٩٦٣).

٣ وعلَّلَ ﷺ ذلك بأنَّه أجدر ألَّا **نحتقِر** نعمة الله التي أنعَم بها علينا؛ فالإنسانُ إذا نظر إلى من هو أدنى منه وإلى من هو أقل منه في أمور الدنيا، عَلِم أنَّ الله تعالى فضَّله على كثيرٍ من النَّاس، فقابلَ ذلك بالحمد والشكر والإحسان، ومكافأة النعمة بحُسن العبادة.

أمَّا إذا نظر إلى أهل النِّعم وتأمل في أحوال أهل الدنيا وما وسَّع الله به عليهم، أورثه ذلك مقارنةَ ما عنده بما في أيديهم، فأدَّاه ذلك إلى أن يجحد نِعمةَ الله التي عنده ويحتقرها، وربَّما أفضى به ذلك إلى الحقد والحسد.

١ ينبغي على المؤمن أن يهتمَّ بالآخرة، ولا يُتبع بصرَه نعيمَ الدنيا، ولا يكثِر النظر إلى المُتْرَفين؛ فقد أعدَّ اللهُ تعالى في الجنَّة لعباده «مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ، ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ، ولا خَطَرَ على قَلْبِ بَشرٍ»[٢٢٧]، فإذا رأت عينه أو تعلَّق قلبه بشيءٍ من زينة الحياة الدنيا فلا يُتبِعها نفسه، وإنما يُذَكِّرُ نفسه بنعيم الله الذي أعدَّه لعباده المتقين.

٢ ليس معنى الحديث أن يترك العبدُ الدنيا ويتقشَّف ويزهد عما أعطاه الله تعالى منها، وإنما المراد ألَّا تستحوذ الدنيا على قلبه بحيث لا يَرضى بما آتاه الله تعالى منها.

٣ قال ابنُ عَون رحمه الله: جالستُ الأغنياءَ، فاحتقرتُ لباسي إلى لباسهم، ودابَّتي إلى دوابِّهم، وجالستُ الفقراء فاسترحتُ»[٢٢٨].

٤ المؤمن إذا عَلم أن الله تعالى قسَّم الأرزاقَ بحكمته ارتاحت نفسُه، ولم تتعلق بما فضَّل الله تعالى به بعضَ الناسِ على بعض.

(٢٢٧) رواه البخاريُّ (٣٢٤٤)، ومسلم (٢٨٢٤).

(٢٢٨) «طرح التثريب في شرح التقريب» للعراقيِّ (٨/ ١٤٥، ١٤٦).

٥ ينبغي للمسلمُ ألَّا يحرص على التنافس في تحصيل منافع الدنيا ونعمها بقدر ما يحرص على التنافس في أمور الآخرة، ولهذا قال ﷺ: «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَسُلِّطَ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا»(٢٢٩).

٦ لَمَّا بغى قارون وتجبَّر وتكبَّر بما أعطاه الله تعالى، نظَر أصحابُ النفوس الضعيفة إليه وقالوا: ﴿يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٖ﴾ [القصص: ٧٩]، فلا هم حَفِظوا أعينَهم ونفوسَهم عن الافتتان بما آتاه الله، ولا همْ نالوا نصيبًا مما أُعطي، فكانوا كما قال الشاعر:

رأيتُ الذي لا كلُّه أنت قادرٌ عليه ولا عن بعضِه أنتَ صابرُ

٧ من أعظم ما يحقِّق السعادة في قلب المسلم أن يستشعر نِعم الله الكثيرة التي أنعم الله تعالى بها عليه، وأن يكثر من التأمل فيها، والنظر في حال مَن هم أقل حالًا منه، كما قال ﷺ: «مَن أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا في سِرْبِهِ مُعَافًى في جَسَدِهِ عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِه فكأَنَّمَا حِيزَتْ له الدُّنْيا»(٢٣٠).

الإنسانُ إذا ابتُلِي ببلاءٍ أو حلَّت به مصيبةٌ فنظَر إلى مَن هم أسفل منه، هانت عليه مُصيبته، ورأى أنَّ ما به من البلاء هَيِّنٌ، فيُحسِن عند ذلك الصبرَ على البلاء، ويشكر اللهَ على ما وهبه من العافية.

قال الشاعر:

عَلَيْكَ بتَقْوَى الله واقْنَعْ برزقِهِ فخَيْرُ عبادِ الله مَن هو قانِعُ
وَلا تُلْهِكَ الدنيا وَلا تَطْمَعَنْ بها فقد يُهْلِكُ المُغْرُورَ فيها المُطَامِعُ

وقال غيره:

وَجَدْتُ القَنَاعَةَ ثَوْبَ الغِنَى صِرْتُ بأَذْيَالِهَا أَمْتَسِكْ
ففَأَلْبَسَنِي جَاهُهَا حُلَّةً يَمُرُّ الزَّمَانُ ولم تُنْتَهَكْ
فصِرْتُ غَنِيًّا بلا دِرْهَمٍ مُرُّ عَزِيزًا كَأَنِّي مَلِكْ

(٢٢٩) رواه البخاري (٧٣)، ومسلم (٨١٦)، عن ابن مسعود ﷺ.

(٢٣٠) رواه الترمذي (٢٣٤٦).